

أضواء البيان

@ 363 @ .

قوله تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَن نَّزَمَّ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَدْتًا وَأَن نَّزَكُّكُمْ إِلَّا لِيَذَّا
لَا تُرْجَعُونَ * فَتَدْعَالَى اللّٰهَ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } . الاستفهام في قوله : أفحسبتم للانكار ، والحسبان هنا معناه :
الظن . يعني : أظننتم أنا خلقناكم عبثاً لا لحكمة ، وأنكم لا ترجعون إلينا يوم القيامة ،
فنجازيكم على أعمالكم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً شر ، ثم نزّهه جل وعلا نفسه ، عن أن
يكون خلقهم عبثاً ، وأنهم لا يرجعون إليه للحساب والجزاء . .

وقوله : { فَتَدْعَالَى اللّٰهَ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
الْعَرْشِ الْكَرِيمِ } أي تعظم وتقدس ، وتنزه عن كل ما لا يليقُ بكماله وجلاله ، ومنه
خلقكم عبثاً سبحانه وتعالى ، عن ذلك علواً كبيراً . .

وما تضمنته هذه الآية من إنكار الظن المذكور جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله
تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَالِكُمْ
ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } وقوله
تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا
خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ } وقوله تعالى : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مِّنِّي يُمْضِي * ثُمَّ كَانَ عَلَاقَةً فَخَلَقَ
فَسَوَّي * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } وقوله : سدى : أي
مهملاً لا يحاسب ولا يجازي ، وهو محل إنكار ظن ذلك في قوله : { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن
يُتْرَكَ سُدًى } وقوله : عبثاً : يجوز إعرابه حالاً ، لأنه مصدر منكر أي إنما خلقناكم
في حال كوننا عابثين ، ويجوز أن يعرب مفعولاً من أجله : أي إنما خلقناكم ، لأجل العبث لا
لحكمة اقتضت خلقنا إياكم ، وأعربه بعضهم مفعولاً مطلقاً ، وليس بظاهر . قال القرطبي
عبثاً : أي مهملين ، والعبث في اللغة : اللعب ، ويدل على تفسيره في الآية باللعب قوله
تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }
وقوله : { الْمَلِكُ الْحَقُّ } قال بعضهم أي الذي يحق له الملك ، لأن كل شيء منه وإليه
.

وقال بعضهم : الملك الحق : الثابت الذي لا يزول ملكه ، كما قدمنا إيضاحه في سورة
النحل في الكلام على قوله تعالى : { وَلِلّٰهِ الدِّينُ وَاصِبًا } وإنما وصف عرشه بالكرم
لعظمته وكبر شأنه والظاهر أن قوله : { وَأَن نَّزَكُّكُمْ إِلَّا لِيَذَّا لَا تُرْجَعُونَ } معطوف

على قوله : { أَرْزَمًا خَلَقْنَاكُمْ ° عَبَثًا } خلافاً لمن قال : إنه معطوف على قوله :
عبثاً ، لأن الأول أظهر منه والعلم عند الله تعالى .